القيم الإنسانية في الشعر العباسي (دراسة أدبية نقدية)

The human values in Abasid poetry: (poetic critical studies)

د. إبراهيم صالح إدريس أبوبكر

Ibrahim Salih Idriss Abu Baker

السودان، جامعة الجزيرة، كلية التربية الحصاحيصا

قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، أستاذ الأدب والنقد المشارك

Asociate professor. Department of Arabic Language and Islamic Studies,

Faculty of Education El Hasaheisa, University of Gezira, Sudan.

ibrahemsalh200@gmail.com

الباحث محمد عبد القادر الأمين حمد النيل

Mohammed Abdulgadir Alameen Hamad Alneel

السودان، جامعة الجزيرة، كلية التربية، رفاعة

قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، أستاذ الأدب والنقد المشارك.

Asociate professor. Department of Arabic Language and Islamic

Studies, Faculty of Education Rufaa, University of Albutana, Sudan.

المستخلص

إن القيم الإنسانية هي القضائل التي ترشد الافراد إلى مراعاة الآخرين من البشر عند التعامل معهم؛ وللقيم الإنسانية أثر كبير في الحياة الإنسانية، وفي معالجة القضايا، وقد عكس شعراء العصر العباسي كيراً من القيم الإسانية المستنبطة من حياتهم وبيئاتهم المتنوعة. هدفت الدراسة إلى توضيح القيم الإنسانية المستنبطة من الشعر العباسي. دراسة نقدية لشعر القيم الانسانية .اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي. توصلت الدراسة إلى نتائج عديدة منها: تأثر شعراء العصر العباسي بالقرآن الكريم مما أعطى التناص الديني والقيم الدينية حضورا واضحاَ في أساليبهم الشعرية؛ عكس الشعرء العباسيين قيمة الصداقة في أشعارهم ومن أشهر ملامحها الصفح عن الصديق تجاه صديقه إذا ما فسد الود بينهما حيناً ؛ في شعر أبي تمام نماذج من القيم الانسانية المتعلقة بالصديق ووصفه بأنه إنساناً مشاعره مفعمة بحب الخير والنبل وذا أخلاق مثالية؛ إن الشعراء في العصر العباسي في جانبهم الإنساني لم ينسوا الحيوان ، فالشعراء تعاطفوا مع الحيوان ، وكانت لهم القدرة على نفسية الحيوان والتعبير عما يجول فيها. توصي الدراسة بالبحث عن جمالية النص الأخلاقي وتجلياته في العصر العباسي. توضيح الصور الإيحائية في شعر القيم الانسانية من خلال نماذج في الشعر العباسي. تحليل آراء النقاد في أخلاقيات الشعر العباسي.

* * *

المقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات حمدا يوافي نعمه ويكافئ مريوده والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد.

فإنّ القيم الأخلاقية تحتل مكاناً كبيرا في حياة الفرد والمجتمع، وتحلى بها كثير من الشعراء العباسين وزينوا ووشَّحو بها أشعارهم ودواوينهم والتي أثنى عليها الإسلام فجعلها من مكارم الأخلاق وقد صدق النبي صلى الله عليه وسلم حينما قال « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

أهداف الدراسة:

١. إظهار القيم الإنسانية في نماذج من الشعر العباسي.
٢. الوقوف على القيم وتحليلها ونقدها.
٣. توضيح أثر القيم الأخلاقية في حياة الفرد والمجتمع.
٤. معرفة دلالات القيم من خلال الشعر العباسي.

منهج الدراسة:

اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وجمعت الدراسة من مصادر ومراجع الأدب والنقد المتصلة بالموضوع.

الدراسات السابقة.

من الدراسات السابقة رسالة عن: (القيم الاخلاقية وجمالياتها في الشعر الجاهلي معلقة زهير بن أبي سلمى أنوذجاَ) إعداد ـ موسى مصطفى عبيد الله محمد ،رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة أبي بكر بقا يد ، الجزائر ٢٠١٤م مكتبة عين الجامعة .

هيكل الدراسة:

قسمت الدراسة إلى مبحثين: المبحث الأول عن مفهوم القيم، والثاني عن القيم الانسانية من خلال الشعر العباسي.

المبحث الأول

القيم الإنسانية في الشعر العباسي

القيم لغة :

إن للفظة القيم مدلولات كثيرة لغوية واصطلاحية ، وردت في المعاجم وكتب الاصطلاح ، فمن معناها اللغوي أنها لا تخرج عن مفردها « القيمة . والقيمة ثمن الشيء بالتقويم . وقيل : قيمة الشيء قدره وقيمة المتاع ثمنه «[1]. ووردت فى الشعر العربي بدلالات مختلفة ، بقول ابي العلاء المعري :

إذا استعانوا بأقداحٍ، لها قيمٌ على المُدامَةِ، فالإثمُ الذي قدَحوا
وعندَهُمْ مُسْمِعاتٌ، يأذنونَ لها ما للمسامع عمّا قلنَ مُنتَدَحُ

وفي الاصطلاح كلمة قيم تعني : تعبير عن دوافع الإنسان وتمثل الأشياء التي توجه رغباتنا واتجاهاتنا نحوها . والقيمة مفهوم مجرد ضمني غالباً يعبر عن الفضل أو الامتياز أو درجة الفضل الذي يرتبط بالأشخاص أو الأشياء أو المعاني أو أوجه النشاط. كما أن القيمة هي عبارة عن : «اهتمام أو اختيار أو تفضيل أو حكم يصدره الإنسان على شيء ما مهتديا بمجموعة المبادئ و المعايير التي وضعها المجتمع الذي يعيش فيه ، والذي يحدد المرغوب فيه والمرغوب عنه من السلوك».[2]

إن القيم تتضمن العديد من المعايير الأساسية التي يشترك فيها المجتمع بكل مكوناته ، كما تسهم في تحقيق الاتفاق والتعامل بينهم ، وذلك لاعتبارات أخلاقية و إنسانية وروحية ووطنية وجمالية. وأيضاً تعمل كدلائل تستعمل في سلوك الفرد لتقويمه وتوجيهه إلى الأفضل في المجتمع الذي يعيش فيه ، كما تقوم في تحديد سلوك الجماعة وتفاعلها الاجتماعي من خلال مختلف أشكال السلوك الاجتماعي ، كونها علاقة تقوم بين الذات الإنسانية وبين الواقع وما فيه من موضوعات وأحداث . هذا علاوة عل أنها تعد وسيلة مهمة من الوسائل التي تنهض بها المجتمعات.

فالقيم إذن بمعناها اللغوي لا تختلف عن معناها الاصطلاحي إذ أن كلاهما يشير إلى فكرة الفضائل التي توجه رغباتنا واتجاهاتنا نحوها وقيمتها وتفضيلها عن غيرها ، كونها ترمز إلى الصفة العليا التي تسمو بالنفس، وتصل بها إلى غاية من الغايات القيمة.

---

(١)ابن متطور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٩٥٥، ج١٢، ص٥٠٠

(٢)قباري، محمد إسماعيل، قضايا علم الأخلاق، الهيئة المصرية الجامعة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٨، ط٢، ص١٣٢.

أولاً في اللغة:

تحدث أصحاب المعاجم اللغوية عن مفهوم الإنسانية ، حيث جاء في المعجم الوسيط « إن الإنسانية خلاف البهيمية وجملة الصفات التي تميز الإنسان. أو جملة أفراد النوع البشري التي تصدق عليها هذه الصفات[١] وجاء في المنجد: « ما اختص به الإنسان دون الحيوان من المحامد وأكثر استعمالها من نحو الجود وكرم الأخلاق واللطف[٢] ومن هذه المفاهيم نجد أن الإنسانية تعني الصفات والمحامد التي اختص وتميز بها الإنسان دون الحيوان.

ثانياً في الاصطلاح:

والإنسانية اصطلاحاً، تعني على أنها مجموعة الفضائل، وهي خلاصة الخير والعدل والرحمة والإخوة، والمحبة والمساواة والرفق والإحساس بألم الإنسان، ومثل ذلك من حميد الصفات[٣] فالإنسانية بمفهومها اللغوي لا تختلف عن مفهومها الاصطلاحي إذ أن كلاهما يشير إلى الفضائل التي اختص وتميز بها الإنسان، كونه محور الخليقة وغاية الوجود، ويمتاز بتطلعه إلى الأفاق والسمو بما يمتلك من وعي ومثل وضوابط انسانية. وبهذا المفهوم نرى أن الإنسان هو الإنسانية والإنسانية هي الإنسان.

* * *

(١)لجنة علماء اللغة، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، مراجعة عبدالسلام هارون، القاهرة، دار المعارف، ص٣٠، ١٩٠٣، ط٢، ج١، ص٣٠.

(٢)لويس معلوف، المنجد في اللغة، بيروت، منشورات دار المشرق، ١٩٦٧، دار المشرق، ص١٦٠.

(٣)العسكري، سليمان إبراهيم، قيم جديدة، مجلة العربي، العدد ٥١٧، ٢٠٠١، ص٩.

المبحث الثاني

القيم الإنسانية في الشعر العباسي

للقيم الإنسانية اثر كبير في الحياة الإنسانية، وفي معالجة القضايا التي تدور حول الإنسان الذي يُعّد محور المثل والقيم من حيث كونه أنساناً استناداص من ذلك النظر إلى نوعه أو نسله أو وهذه الإنسانية في سمّوها وسموقها في كلّ ما تنادي به من كرامة الإنسان وفرضية التكريم له إنما هو رسالة الأديان ونتيجة للأداء الفلسفية التي انتشرت في هذا العصر، من هنا أدرك شاعر القيم الإنسانية الدور الذي تلعبه القيم الإنسانية والآثار التي تشربت عليها، فلم ينس دوره الإنساني الريادي الذي يقوم به إذ لا يعبر عن ذاته فحسب، بل يعبر عن إخوته الذين ربطت بهم وشيجة الإنسانية، فيتناول من خلال أبعاده المختلفة، وعلاقاته الإنسانية المتداخلة، ثم النظر إلى أعماق الإنسان من خلال الجوانب الإنسانية بعيدة الغور عن القيم النفعية المؤقتة بين البشرية، فلا انفصام ولا انفصال بين الشاعر ومجتمعه، فكل واحد منهما مرتبط بالآخرارتباط الروح بالجسد، وذلك لأن الشاعر ابن بيئته التي يعيش فيها. وبهذا وجد في العصر شعراء آمنوا بالإنسان وقيمة وجوده في المجتمع فتعاطفوا مع آلامه وأفراحه، ووقفوا مسخرين قريضهم له يصورون به كراهية الفقر ونبذه، وأفاضوا الحديث عن الأخوة الإنسانية، كما أشاروا إلى البؤس الذي ألم بالفقراء البائسين الصُرد، وأيضا تحدثوا عن الرحمة والعطف على كل مكونات الحياة سواء كانت من الإنسان أم الحيوان ، والحيوان نال حظه من العطف والحنان والرعاية، ولعمري تلك قمة الإنسانية . وهؤلاء الشعراء لم يدفعوا دفعاً الي ذلك القول، ولم تضطرهم الظروف إلى مدح أو هجاء أو رثاء أو تشبب بالنساء وما إلى ذلك من الفنون الشعرية الأخرى التي يضطر إليها الشعراء لعلة أو لأخرى، ولكنهم قالوا الشعر بوحى عواطفهم ومشاعر نفوسهم وبتأثير انسانيتهم، ولم يقصدوا به إلا التعبير عن الإنسان والإنسانية، ومن المؤكد جاء هذا كله نتيجة للنضج الحضاري الذي أصاب الأمة العربية آنذاك، وعملية النضج هذه كان وراءها فهم عربي خالص، وهو التعرف على ما عند العالم من منجزات حضارية، من غير إحساس بالنقص، انطلاقا من التقاليد والأعراف العربية القديمة التي كانت تأخذ وتعطي من العالم ، وانطلاقا من المفاهيم الإسلامية التي دعت إلى السعي والسير في الأرض والضرب في مناكبها قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [المُلك:١٥] فإنها قد دعت في الوقت نفسه إلى السير في الأرض والضرب في مناكبها ، لهذا كان من الطبيعي أن تتعرف الحضارة العباسية على كل منجزات العالم التي كانت قد تعرفت عليها مثل الحضارات الهندية، والفارسية، واليونانية

فمن الملاحظ أن القيم الإنسانية في هذه الفترة كان لها طابعاً حضارياً متصلاً بالأعمال الإنسانية والعلاقات الاجتماعية، وبكل ما تفرضه أمور الحضارة من قيم إنسانية تستجد يوماً بعد يوم.

الصداقة :

الصداقة هي : الاتحاد بين شخصين مرتبطين بحب واحترام متساويين متبادلين؛

إن الصداقة قيمة إنسانية عظيمة تقوم عليها العلاقات الاجتماعية؛ وهي المثل الأعلى للتعاطف والتواصل فيما يتعلق بخبر كل من واحد من أولئك الذين يرتبطون بإرادة خيرة أخلاقيا.

والصداقة لم تكن عبر الأزمات مصادقة عابرة ، وإنما هي جسر وطيد تتطلب إقامته عملاً جاداً موجها على كثير من اللين والتسامح والتعاطف والمحبة والصبر والوفاء المقيم المتصل . والحديث من الصداقة والصديق كثر في الشعر العباسي إذ أن معظم الشعراء العباسيين أدلوا بدلوهم الذين قاموا من خلال أشعارهم .

فمن الشعراء العباسيين الذين وقفوا بأشعارهم عند الصداقة الشريف الرضي الذي عنده بمستوى آصرة الانتماء الأسري يقول :

ربَّ أخٍ لي لم تلده أمّي ينفي الأذى عنّي ويجلو همّي
ويصطلي دونيَ بالملمِّ إذا دعيت اشتدَّ ماضي العزم

تأثر واقتباس:

ويذهب الشريف الرضي إلى ابعد من ذلك فيتوقع من الصديق مالا يتوقعه من القريب فيقول:

إذا لم يكن لي من عشيرتي فلي من يد المولى وإن ذل ناصر (١)

ويقرن بين آصرة الصداقة وآصرة أعضاء الجسد الواحد التي إلا إذا عملت متصلة مع بعضها البعض يقول:

وَما تَنفَعُ المَرْءَ الشِّمالُ وَحيدَةً إذا فَارَقَتْهَا بالمَنُونِ يَمِينُ
تجرّم عام لم أنل منك نظرة وحان ولم يقدرْ لقاؤك حين(٢)

فالصديق هنا ذاك الأنموذج للإنسان الإنساني الذي يكون محط اهتمام صديقة وموطن إعجابه ومن الشعراء العباسيين الذي أشاروا إلى تلك السجية أبو العلا العري، فهو فيلسوف، صاحب عقل مثقف وقريحة وآراؤه أصبحت مكان اهتمام الباحثين في ثنايا الشعر العربي، والمعري هنا ينبه ويدعو

(١) المصدر السابق، ص٤٠٨.

(٢)الشريف الرضي، ديوان الشريف الرضي، مصدر سابق، ص٤٠٨.

إلى التريث قبل الارتباط بصداقة انجذب لها المرء الجميل احدهم، إذ لا يعبر عن محبه صادقة، وإنما جاء نفاقاً وتملقاً وذلك في قوله :

إذا ودَك الانسان يوماً فقير مرَ الزمان تنكرا
وما زال فقر المرء يأتي على الغنى ونسيانه مستدركاً ما تذكرا
ومن الناس من اعطى الجميل بديهة وضن بفعل الخير لما تفكرا
فخف قول من لاقاك من غير سالفٍ حميد فأبدى بالنفاق تشكرا
وكم اضمر المصحوب مكراً بصاحب فألقى قضاء اللّٰه أدهى وأمكرا[1]

إن قمة الإنسانية في الصداقة والصفح من الصديق تجاه صديقه إذا ما افسد الود بينهما حيناً ، فالصديق الصدوق في نظر مطبع هو فترة يطلب العفو والصفح من صديقه إذ يقول مطيع بن إياس في ذلك:

إنْ تصِلْنِي فمثلُك اليوم يُرْجَى عَفْوُهُ الذَّنْبَ عن أخيه ووَصْلُهْ
ولئن كنْتَ قد همْتَ بهجري لِلذي قد فعلْتُ إنِّي لأَهلُهْ
وأحَقُّ الرِّجال أن يَغفِر الذَّنْبَ لإخوانه الموفَّرُ عقلُهْ
الكريمُ الذي له الحَسَبُ الثّاقبُ في قومه ومن طاب أصلُهْ
ولئن كنتَ لا تصاحِب إلاَّ صاحبا لا تَزِلّ ما عاشَ نعلُهْ
لا تَجِدْه وإن جَهِدْتَ وأَنِّي بالذي لا يكاد يُوجَد مثلُهْ
إنَّما صاحبي الذي يغفر الذَّنْبَ ويكفيه من أخيه أقلُّهْ [2]

ولأبي تمام سهم من هذه الكنانة، ولن يكون الصديق إلا إنساناً مشاعره مفعمة بحب الخير والنبل وذا أخلاق مثالية في مرآة الحقيقة تهمي عن الصداقة حزناً من الخبر وتنشر سحرها دفيئاً في جوانح الهياكل المجسدة من نبل وذكاء فتنعش بذور الحب سر الحياة في شرايينها دماءً، وإنسان بهذه الصفات تلهف من لي بإنسان إذا أغضبته وجهلت كان الحلم رد جوابه إن النصوص التي سبقت الإشارة إليها في أشعار هؤلاء الشعراء العباسيين تؤكد استيعاب الشعراء تلك القيمة الإنسانية وتمتلكها في شعرهم.

(١) الجندي، محمد سليم، الجامع في اخبار أبي العلاء المعري وإثاره، مطبوعات المجمع اللغوي العربي، دمشق، ١٩٦٤، ص٥٨٩.

(٢)مطيع بن إياس، شعر مطيع بن إياس، فون غرينارم، ترجمة وتحقيق د. محمد يوسف نجم، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٩، ص٢٥٧.

التسامح :

إن التسامح من القيم الإنسانية ذات الكعب العالي عن بقية القيم الأخرى وهو قيمة إنسانية لا يتجلى بها إلا صاحب النفس الكبيرة[١] ومن الشعراء الذين عاشوا في عصر بني العباس ونظموا في تلك القيمة محمود الوراق إذ يقول :

إنـــي شـكـرت لـظـالـمـي ظـلـمـي وغـــفـــرت ذاك لـــه عـــلـــى عـلـمـي
ورأيـــــت أســـــدى إلـــي يـــداً لـــمـــا أبـــــان بـجـهـلـه حـلـمـي
رجـعـت إسـاءتـه عـلـيـه وإح ســـانـــي مـــضـــاعـــف الـــجـــرم
وغـــــدوت ذا اجـــر ومـحـمـدة وغـــدا بـكـسـب الـظـلـم والإثـــم
فـكـأنـمـا الإحـســـان كـــان له وأنـــا الـمـسـيء إلـيـه فـي الـحـكـم
مـــــازال يـظـلـمـنـي وأرحـــمـــه حـتـى بـكـيـت لـه مـن الـظـلـم[٢]

وأبو العتاهية شاعر الزهد يسمح ويعفو عن غائظيه سفهاً وطيشا فيشقى نفسه بالعفو والصفح ، بل يذهب إلى ابعد من ذلك في تسامحه إذ يمنحه صفو وداده ، ورحمته على الرغم من مرارة لحاجته في ظلمه له يقول:

كـم مـن سـفـيـهٍ غـاظَـنـي سَـفَـهـاً فـشَـفَـيْـتُ نـفـسـي مـنـه بـالـحِـلْـم
وكَـفَـيْـتُ نـفـسـي ظـلـمَ عـاديـتـي ومـنـحـتُ صـفـوَ مـودّتـي سِـلْـمـي
ولـقـد رُزِقـــتُ لـظـالـمـي غِـلـظـاً ورَحِـمـتُـه إذ لـجّ فـي ظُـلْـمـي [٣]

الإحساس بألم الطبقة العامة:

عاش الناس في عصر بني العباس حياة متعددة الطبقات والأوضاع فمنهم من عاش في بذخ وهؤلاء هم الخلفاء والأمراء وحواشيهم من بيت الخلافة العباسية، ومن الوزراء والقواد وكبار رجال الدولة وما اتصل بهم من الفنانين شعراء ومغنيين ومن أهل العلم والثقافة.

وكان الخلفاء والوزراء والولاة والقواد يغدقون على العلماء والأطباء والشعراء والمغنيين، ونافسهم الوزراء في هذا البذل، وللبرامكة فيه ما ليس لأحد، وطبيعي ان تدفع كثرة الأموال في العصرالعباسي إلى الترف في الحياة وكل أسبابها المادية. وهؤلاء الحكام والأمراء لا ينال الخطوة بالجلوس في مجالسهم ولا ينعم بجزيل عطائهم إلا كل شاعر نزر شعره لخدمة أهل البلاط، فهؤلاء كانوا في أعلى

(١)عصام، فهد، نحو معالجة جديدة للقيم الانسانية، مجلة التراث العربي، دمشق، العدد١١، ١٩٨٣، ص٢٥٤.

(٢)المبرد، أبو العباس، محمد بن يزيد، الكامل في اللغة الأدب، نحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم السيد شحاته، طبع مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٦، ص٢٢٥.

(٣)أبوالعتاهية، اشعاره واخباراه، تحقيق شكري فيصل، طبعة جامعة دمش، ١٩٦٥، ص٣٥٦.

عليين، بينما عاش سوى هؤلاء في ضنك من العيش.

ولا ريب في إن هذا كله كان على حساب العامة المحرومة كانت تحيا حياة بؤس وشظف في العيش، تحيا هذه الحياة لتنعم الأخرى بجزيل العطاء ورفاه العيش، فالجمهور يعيش في ضنك من العيش عبيدهم وأحرارهم. جملة هذه الاضطرابات التي لازمت حياة الإنسان في عصر بني العباس، كان لها مردودها في الحياة الأدبية، فهؤلاء الفقراء الصرد لجأوا إلى كثير من الحيل لنيل المال، ولعل من اشهر هذه الحيل إذ ظهر أناس مارسوا الكدية من أجل الرفدوالنائل. ولعل خير من يمثل ويعبر من صدى عميق في نفوس الطبقة العامة التي لم تكن تعرف ترفاً ولا نعيماً، إنما كانت تعيش في شظف العيش هو أبو العتاهية الذي تحسس وأخذ يصور آلامها وبؤسها ونراه يتعمق الشعور بما هي عليه من بؤس وفقر، فإذا هو يستخدم أقوى أنواع الأسلحة آنذاك، ألا وهو سلاح الشعر، فالشعر كان المعبر الحقيقي آنذاك وللشعراء منزلة رفيعة في مجتمعاتهم التي يعيشون فيها، إذ رفع أبو العتاهية لبعض الخلفاء شكوى مريرة من غلاء الأسعار، وهو يعبر فيها عما كانت تعيش فيه طبقات الشعب من ضنك مؤلم يقول:

من مبلغ عني الإمام نصائحا متتالية
إني أرى الاسعار أسعار الرعية غالية
وأرى المكاسب نزرة وأرى الضرورة خاشية
مَنْ يرتجي للناس غيرك للعيون الباكية
مَنْ مصيبات جَوّع تمسي وتصبح طاوية
مَنْ يرتجي لدفاع كربِ ملمة هي ماهيه
مَنْ البطون الجائعات وللجسوم العارية
ألقيت أخباراً إليك من الرعية شافية[1]

إذا كانت الأموال حينئذ موزعة توزيعاً غير عادل، فالخلفاء والوزراء يعيشون في الحلية والزينة وكل ما يمكن من أسباب الترف ووسائل ال بينما عامة الشعب أو أغلبيتهم في البؤس حيث لم تجديداً تمتد إليها وتخمد نار الفقر والضنك المستقلة بين طبقاتها ولا من يبرد جوانحها ، يطعم الجائع ويكسو العاري ويسقي الظمآن.

وتلقانا أحاسيس هذه الطبقات التعسة مصورة عند شعراء خير من يمثلهم أبو فرعون الساسي، فله مقطوعة يصور فيها جوع عياله وكيف يبيتون في الشتاء القارص عراة لا يجدون ما يحميهم من

(١)أبوالعتاهيه، اشعاره واخباره، مصدر سابق، ص٣٠٣.

هول البرد.[١]

وفي موطن تراه ينظم في ذات المعنى، مصوراً لنا حالة داره القفر، التي لو جاء السارق ليسرق لرجع إلى مكانه خالي الوفاض ثم أنه يخشى أن يرى جواب الطريق تلك الحالة التي لا تسر الصديق ولا العدو، يقول :

ليس إغلاقي لبابي أن لي فيه ما أخشى عليه السرقا
إنما أغلقه كي لا يرى سوء حالي من يمرّ الطرقا
ليس لي فيه سوى باريةٍ وبلى أغلَقْتُ لِبداً خَلَقا
منزلٌ داخله الفقر فلو دخل السارق فيه سُرِقاً [٢]

ومن الشعراء الذين عاشوا في ضنك وحرمان أبو الشمقمق الذي يصف الرغيف وكيف كان كل همه من الحياة، وهم أمثاله من الفقراء البائيسين الذين يعيشون على الكر اليابسة بها، وهو لذلك يجعله موضع شعره وينال بشعره عن وصف الديار البالية ، خاليه وكذلك يتأتى عن، وصف الخمر وحاناتها وسقاتها فهذا شأن الجاهلين، أما شأنه هو وصف تلك الحالة المحزنة لهذه الطبقة العامة التي أبلى جسدها الفقر والعوز، حتى عز عليهم العيش اليسير، يقول :

دع عنكَ رسمَ الديارِ ودعْ صِفات القفارِ
وعدِّ عنْ ذِكرِ قومٍ قدْ أكثروا في العُقارِ
ودع صِفاتِ الزنانير في حضورِ العذاريِ
وصفْ رغيفاً سريا حكته شمسُ النهارِ
أو صورةُ البذرِ لما اسْ تتمّ في الاستِدارِ
فليس يحسن إلا في وصفه أشعارِي
وذاكَ أني قديماً خلعتُ فيه عِذاري عقار[٣]

إلى جانب هذه المآسي المفجعة التي تعرض لها بعض الشعراء والطبقة العامة من وحرمان وبؤس نرى العباس بن يقدم لنا معنى إنسانيا يمس أوتار القلوب ويهزها هزاً عنيفاً حيث وصف الفقير ورثى حاله ومكانه.

يمشي الفقير وكل شيء ضده والناس تغلق دونه أبوابها
وتراه مبغوضا وليس بمذنب ويرى العداوة لا يرى أسبابها
حتى الكلاب اذا رأت ذا ثروة خضعت لديه وحركت أذنابها

(١)ابن الجراح، الورقة، تحقيق عبدالوهاب عزام وعبدالستارأحمد فراج، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٣، ص٥٤.
(٢)إبن المعتز، طبقات الشعراء، تحقيق عبدالستار وأحمد فراج، مصر، دار المعارف، ١٩٧٣، ص٢٧٧.
(٣)إبن الجراح، الورقة، مصدر سابق، ص١١٥.

وإذا رأت يوما فقيرا عابرا نبحت عليه وكشرت أنيابها[1]

وقال آخر:

فقر الفتى يذهب أنواره مثل اصفرار الشمس عند المغيب
والله ما الانسان فى قومه إذا بلي بالفقر الا غريب

وقال آخر:

إن الدراهم في المواطن كلها تكسو الرجال مهابة وجمالا

وخير من علق على هذه الأبيات مصطفى الشكعة إذ يقول « إن هذه الأبيات من أعمق وأمتع ما قيل في القيم الإنسانية والمعاني الاجتماعية في الشعر العربي.[2]

الاعتذار والعتاب:

الاعتذار والعتاب كقيمة إنسانية عليا تعني العودة إلى الألفة والمودة بين طرقي الخطاب ، قال حازم القرطاجني « فأما طرق الاعتذار والمعاتبات والاستعطاف وما جرى مجراها ، فملاك الأمر فيها التلطف والإثلاج إلى كل معتذر إليه أو معاتب ، أو مستعطف من الطريق الذي يعلم من سجيته ، أو يقدر تأثره لذلك[3]

ولا بد من الاعتذار والعتاب من الرقة في الخطاب ، والشفافية في ملامسة أمور الخلاف ، وإلا انقلب الاعتذار إلى إنبات الخطأ على المعتذر، فاستحق المزيد من اللوم والتفريع ، يرى ابن رشيق القيروان أنه ينبغي للشاعر أل يقول شيئاً يحتاج أن يعتذر منه، فغن اضطر إلى ذلك

فليذهب مذهباً لطيفاً، وليعرف كيف يأخذ بقلي المعتذر إليه وكيف يستجلب رضاه، بلطف البرهان، والدعوة إلى إعادة النظر في الأمر والإشارة إلى كذب الناقل وحسده، فإن إثبات المعتذر من باب الاحتجاج وإقامة الدليل خطأ، لا سيما من ذوي السلطات[4]. أما العتاب فإنه ان خرج عن التلطف وشرد اللوم والتفريع كان سبباً في المزيد من القطيعة، وفتح باب الهجاء وربما آسى داعية العاوة، وخير العتاب في رأي ابن الأثير الحلبي ما امتزج بالاعتذار .[5]

---

(١)الأحنف، العباس، ديوان العباس بن الأحنف، تحقيق د. عاتكة الخزرجي، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٥٤، ص٦٣.

(٢).الشكعة، مصطفى، الشعر والشعراء في العصر العباسي، طبع دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٧٥، ص٣٤٨.

(٣).القرطاجني، أبو الحسن بن حازم محمد الأوسي، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحسيني إبن الخوجة، دار المغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٨١، ص٣٥٢.

(٤)إبن رشيق، العمدة في محاسن الشعر، آدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار الجيل، بيروت، ١٩٨١، ص١٧٦.

(٥) . إبن أبي حفصة، مروان، شعر مروان إبن أبي حفصة، جمع وتحقيق د. حسين عطوان، دار المعارف، القاهرة،

والكلام عن الاعتذار والعتاب أكثر في الشعر العربي العباسي فمن اعتذار للخليفة إلى الاعتذار للوزير أو أولي الجاه. وأول ما يلاحظ على هذا الاعتذار الذي يبلغ فيه الشاعر غاية ما يبلغه المعتذر متنصلاً من ذنبه إلا العفو ، ونحسب أن المعتذر إليه قد عفا وصفح . وقد يذكر المعتذر إليه بمثال عظيم للعفو بعد أن يضفي المعتذر إليه صفات الاقتدار، اعتذار مروان بن أبي حفصة للخليفة المهدي يستشفع لنفسه وقد وشى به إليه الوزير يعقوب ابن داؤود:

أتاني من المهديّ قولٌ كأنما ... به احتز أنفي مدمن الضّعن جادع
وقلت، وقد خفت التي لا شوىً لها ... بلا حدثٍ: إني إلى اللّٰه راجع
وما لي إلى المهدي لو كنت مذنباً ... سوى حلمه الصافي من الناس شافع
ولا هو عند السخط منه ولا الرضى ... بغير الذي يرضى به اللّٰه صانع
عليه من التقوى رداءٌ يكنّه ... وللحق نورٌ بين عينيه ساطع
يُغضّ له طرف العيون وطرفه ... على غيره من خشية اللّٰه خاشع
هل الباب مفضٍ بي إليك ابن هاشمٍ ... فعذري إن أفضى بي الباب ناصع
أتيت امرأً أطلقته من وثاقه ... وقد أُنشبت في أخدعيه الجوامع
وجلّى ضباب العدم عنه وراشه ... وأنهضه معروفك المتتابع
فقلت وزيرٌ ناصحٌ قد تتابعت ... عليه بإنعام الإمام الصنائع
وما كان لي إلا إليك ذريعةٌ ... وما ملكٌ إلا إليه الذرائع
وإن كان مطوياً على الغدر كشحه ... فلم أدر منه ما تجنّ الأضالع

الشاعر مما نسب إليه من تجاوز في حق الخليفة المهدي ، ولذا أصبحنا ندرك من خلال البيت الأول مدى خوف مروان بن أبي حفصة ، فالأمر كما يصفه (إذ ليس بالهين المحتمل ، لذا لجأ الشاعر مباشرة إلى ذكر القيم الأخلاقية التي يتصف بها المهدي من سماحة وحلم . وذكر المعتذر إليه تمثال عظيم للعفو، وهو عفو يوسف عن إخوته، ولا شك إن مروان بن أبي حفصة قد نال عفو المهدي لأنه عمر بعده زمناً، ومثله قول علي ابن الجهم إلى المتوكل :

إنّ ذلّ السّؤال والإعتذار ... خطّةٌ صعبةٌ على الأحرار
ليس جهلاً بها تورّطها الحرّ ... ملكن سوابق الأقدار
ارض للسّائل الخضوع وللقا ... رف ذنباً مذلّة الاعتذار[1]

١٩٧٣، ص٦٦.

(١) إبن الجهم ، علي، ديوان علي بن الجهم، تحقيق خليل مردم بك، المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٤٩م, ص١٥٠.

وقد خص البحتري الوزير إبراهيم بن الحسن بن سهيل بقصيدة يعاتبه فيها ومنها قوله :

يقول البحتري لصاحبه إنني أدعوك دعوة المستجير بك من غضبك المستعيد لحسن رأيك فيه ذلك الرأي الذي افتقدته لما جاءك عني من الوشاة والحاسدين ما جعل استبشارك بي يحول عني وينجلي كما ينجلي الظل المرير.

الرفق بالحيوان :

إن الشعراء في العصر العباسي في جانبهم الإنساني لم ينس الحيوان ، فالشعراء تعاطفوا مع الحيوان ، وكانت لهم القدرة على نفسية الحيوان والتعبير عما يجول فيها ، فغن الحيوان مهما كان ذو نفس حيه تتحسس وتشعر بالألم كالإنسان تماماً إلا أنه لا يستطيع النطق ليعبر عما يؤلمه ، لذا فما لهذا الحيوان الأعجم غير الرفق والرحمة . فالرفق بالحيوان يعني العطف عليه وإطعامه وعدم إيذائه وتحميله فوق طاقته

الف الرفق:

سلوك يدل على الرشد والحلم والحكمة والإنسانيةس، ذلك لأنه من الطبيعي أن يمتلئ فن الشعر بهذا الجانب الإنساني نحو تلك المخلوقات الضعيفة فالشاعر العباسي كانسان وكشاعر من الطبيعي أن يحس إحساسا مرهفاً نحو الحيوانات ، وكان من الطبيعي أن يرتبط ها الإحساس عنده الرفق بالحيوان ولهذا كانت مفرداته « أرفق به، استوصي خيراً به، أوصيك خيراً به ، الأخ المواسي .

ويمكن القول بأنه كان لكل شاعر نوع من التعبير عن هذا الإحساس الإنساني فإذا أخذنا قول (علي بن الجهم) و (دعبل الخزاعي) مثلا في الكلب وجدنا أن كلاً منهم يوصي خيراً به ، كونه يمثل سجية ، ودليل ضيق في غسق الليل (والنواسي) كان يحس أن له خليلاً وأخاً (والمعري) انفرد دون سائر الشعراء بذلك الشعور الرقيق الذي ما داناه فيه احد من الناس نحو تلك المخلوقات الضعيفة البائسة . ان الذي يميزه عن غيره في جميع الآداب أنه أول من رأف بالحيوانات ، ودعا إلى معاملتها معاملة حسنة حتى أن أقواله في هذا الموضوع تؤلف مجموعة عظيمة وفريدة في نوعها فنجد مثلاً دعبل الخزاعي يستوصي خيراً بالكلب إذ يقول:

استوص خيراً به فإنّ له عندي يداً لا أزال أحمدها
يدلّ ضيفي عليّ في غسق الليل إذا النار نام موقدها[1]

(١)الخزاعي، دعبل، ديوان دعبل الخزاعي، جمع وتحقيق عبدالصاحب الرجيلي، مطبعة الأدباء، ... ، ١٩٦٢، ص٢٩٧.

وفي موطن آخر نرى أبا نواس يجعل منه أخاً مواسياً لا يباع ولا يشترى ولا يقدر بثمن.

أنـعَـتُ كـلْـبـاً لـقِـنَ الـنُّـحـاسِ مـحـسـورَ أقـطـارِ شـؤونِ الـرّاسِ
يُـديـرُ فـي وَقْـبَـيْـنِ ، ذا حِـماسِ طـمّـاحـتـيـن كـلـظَـى الـمـقـبـاسِ
مـثـلَ احْـوِرارِ الـشـادنِ الـميّـاسِ مـسـلّـكِ الـخـلـقِ كـغـصْـنِ الآسِ
نِـعْـمَ الـخـلـيـلُ ، والأخُ الـمـواسـي ! مـن غـيـرِ مـا بَـيْـعٍ ولا مِـكـاسِ
كـم تـيْـسٍ رمْـل لاحَ فـي الـكِـنـاسِ عـفّـرَهُ بـجـانـبَـيْ أَوْطـاسِ[1]
لـم يُـعْـطَ إلاّ مـثـلـه الـنُّـواسـي !

وله في ذات المعنى تعبير عن قمة الإنسانية في وفائه لكلبه العزيز الذي ساهم معه في إطعام الطعام لطالبي قراه ، وفي حمايته لظبائه اللائي عشقهن ، إذ يقول :

يـا بُـؤسَ كـلـبـي سـيّـدِ الـكـلابِ قـد كـان أغـنـانـي عـن الـعُـقـابِ
و كـان قـد أجـزى عـن الـقـصّـابِ وعَـن شِـراءِ الـجَـلَـبِ الـجَـلاّبِ
يـا عَـيـنُ جـودي لـي عـلـى حـلاّبِ! مَـن لـلـظّـبـاءِ الـعُـفْـرِ والـذّئـابِ
و كـلّ صَـقـرٍ طـالِـعٍ وَثّـابِ يـخـتـطـفُ الـقُـطّـانَ فـي الـروابـي[2]

كما راح يدعو غيره إلى عدم طلب القوت من الذبائح ولا مما أخرجه الماء:

غـدَوتَ مـريـضَ الـعـقـلِ والـدّيـنِ فـالـقَـنـي لـتـسـمـعَ أنـبـاءَ الأمـورِ الـصـحـائـحِ
فـلا تـأكُـلْـن مـا أخـرجَ الـمـاء، ظـالـمـاً، ولا تـبـغِ قـوتـاً مـن غـريـض الـذّبـائـحِ
وأبـيَـضَ أُمّـاتٍ، أرادتْ صـريـحَـه لأطـفـالـهـا، دون الـغـوانـي الـصّـرائـح
ولا تـفـجَـعَـنّ الـطّـيـرَ، وهـيَ غـوافـلٌ، بـمـا وضـعـتْ، فـالـظّـلـمُ شـرُّ الـقـبـائـح
ودعْ ضـرَبَ الـنّـحـل، الـذي بـكَـرت لـه، كـواسِـبَ مـنْ أزهـارِ نـبـتٍ فـوائـح[3]

* * *

(١) أبو نواس، ديوان أبي نواس، تحقيق د. بهجت عبدالغفور الحديثي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠، ص٦٤٢.
(٢) المصدر نفسه، ص٦٤٣.
(٣) المعري، أبو العلاء، اللزوميات، تحقيق أمين عبدالعزيز ...، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٤٢هـ، ج١،ص١٩٨.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد: فإنّه بعد دراسة موضوع القيم الإنسانية في نماذج من الشعر العباسي خلصت الدراسة إلى النتائج الآتية:

١- تأثر شعراء العصر العباسي بالقرآن الكريم مما أعطى التناص الديني والقيم الدينية حضورا واضحاَ في أساليبهم الشعرية.

٢- إن قمة الإنسانية في الصداقة الصفح من الصديق تجاه صديقه إذا ما فسد الود بينهما حيناً وقد عكس الشعراء العباسيين قيمة الصداقة في كثير من أشعارهم.

٣- في شعر أبي تمام نماذج من القيم الانسانية المتعلقة بالصديق ووصفه بأنه إنساناً مشاعره مفعمة بحب الخير والنبل وذا أخلاق مثالية.

٤- إن الشعراء في العصر العباسي في جانبهم الإنساني لم ينسوا الحيوان ، فالشعراء تعاطفوا مع الحيوان ، وكانت لهم القدرة على نفسية الحيوان والتعبير عما يجول فيها. توصي الدراسة بـ:

١- البحث عن جمالية النص الأخلاقي وتجلياته في العصر العباسي.

٢- توضيح الصور الإيحائية في شعر القيم الانسانية من خلال نماذج في الشعر العباسي. ٣. تحليل آراء النقاد في أخلاقيات الشعر العباسي.

* * *

المصادر والمراجع

١. إبراهيم السيد شحاته، طبع مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٦، ص٢٢٥.

٢. الأحنف، العباس، ديوان العباس بن الأحنف، تحقيق د. عاتكة الخزرجي، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٥٤.

٣. ابن الجراح، الورقة، تحقيق عبدالوهاب عزام وعبدالستارأحمد فراج، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٣.

٤. ابن الجهم ، علي، ديوان علي بن الجهم، تحقيق خليل مردم بك، المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٤٩م.

٥. الجندي، محمد سليم، الجامع في اخبار أبي العلاء المعري وإثاره، مطبوعات المجمع اللغوي العربي، دمشق، ١٩٦٤.

٦. ابن أبي حفصة، مروان، شعر مروان إبن أبي حفصة، جمع وتحقيق د. حسين عطوان، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٣.

٧. الخزاعي، دعبل، ديوان دعبل الخزاعي، جمع وتحقيق عبدالصاحب الرجيلي، مطبعة الأدباء،١٩٦٢.

٨. ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر، آدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار الجيل، بيروت، ١٩٨١.

٩. الرضي، الشريف الرضي، ديوان الشريف الرضي، شرح محمد محي الدين بن عبدالحميد، دار احياء الكتب العربية،ط١، القاهرة ١٩٤٩م.

١٠. الشكعة، مصطفى، الشعر والشعراء في العصر العباسي، طبع دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٧٥م.

١١. أبوالعتاهية، اشعاره واخباره، تحقيق شكري فيصل، طبعة جامعة دمش، ١٩٦٥م.

١٢. عصام، فهد، نحو معالجة جديدة للقيم الانسانية، مجلة التراث العربي، دمشق، العدد١١، ١٩٨٣م.

١٣قباري، محمد اسماعيل، قضايا علم الأخلاق، الهيئة المصرية الجامعة للكتاب، القاهرة ط٢، ١٩٧٨م.

١٤. القرطاجني، أبو الحسن بن حازم محمد الأوسي، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحسيني إبن الخوجة، دار المغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٨١م.

١٥. ابن المعتز، طبقات الشعراء، تحقيق عبدالستار وأحمد فراج، مصر، دار المعارف، ١٩٧٣م.

١٦. لجنة علماء اللغة، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، مراجعة عبدالسلام هارون، القاهرة، دار المعارف، ط٢، ١٩٠٣م.

١٧لمويس معلوف، المنجد في اللغة، بيروت، منشورات دار المشرق، ١٩٦٧م.

١٨. ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٩٥٥م.

١٩. المبرد، أبو العباس، محمد بن يزيد، الكامل في اللغة الأدب، تحقيق محمد أبو الفضل.

٢٠. مطيع بن إياس، شعر مطيع بن إياس، فون غرينارم، ترجمة وتحقيق د. محمد يوسف نجم، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٩م.

٢١. المعري، أبو العلاء، اللزوميات، تحقيق أمين عبدالعزيز، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٤٢هـ.

٢٢. أبو نواس، ديوان أبي نواس، تحقيق د. بهجت عبدالغفور الحديثي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠م.

* * *